

الأوبئة تنتقل إلى الشاشات في سلسلة من أفلام الإثارة والرعب

المفاجآت والتحويلات وهنا بالطبع يتم مزج عناصر الحركة والجريمة ومكافحة الوباء في كل متكامل. على أننا ونحن نشهد ذلك البحث عن الملائح في عدد من الأفلام التي تتعلق بالناجين من كارثة الوباء، فإن مثالا آخر يقدم لنا أيضا نموذجا لعامل المكان والجغرافيا من خلال فيلم "إنها تأتي في الليل" للمخرج تري شولتس، والأسرة الناجية هنا تختبئ في مكان صغير في وسط الغابة في وسط كارثة أصابت أقرب الناس إليها، على أنها تحترق في أمر البقاء في تلك البقعة المنعزلة إلى الأبد مما يدفعها إلى تجربة التواصل مع آخرين من أجل إنقاذ أنفسهم وهي مغامرة أخرى خطيرة بسبب صعوبة التمييز بين من هو مصاب أو غير مصاب وهو ما يدفع الأسرة باحتجاز شخص مشتبه به وربطه بشجرة فيما هو غير مصاب ويبحث عن الماء.



في مقابله ذلك هنالك فيلم "الحرب العالمية زاء" والذي يجسم أبعاد الكارثة إلى أقصاها من خلال انشغال عالمي بتفشي الوباء الذي يفك بالبشر، والذي يكرس له دور المحقق (لعبة الدور) الممثل براد بيت) للمضي في قصتي الجائحة وأبعادها، فيما هو أصلا أحد ضحاياها، وقد تطورت بالفعل إلى جائحة زيمبي تفك بالبشر وتجعل تلك العائلة الصغيرة في حالة من الرعب الحقيقي، فيما تنتقل إلى عرض البحار حيث خلية أزمة تبحث في جذور الكارثة التي ما تزال تفك بالبشر وتحول مدنا أميركية إلى مدن هلع وموت وأشباح.

المغامرة والحس الإنساني والتضحية وأجواء العنف، كلها تتكامل في هذا النوع من الأفلام الذي طالما عالج واقع مجتمعا عريضا من الفئات التي تصاب أو من الممكن أن تصاب بالوباء، وهو ما نشاهده في فيلم "التفشي" إنتاج 1995، والذي يقدم لنا حيزا مكانيا مختلفا لتفشي الوباء، ليس هو الولايات المتحدة هذه المرة ولا إحدى مدنها، بل إنه في أفريقيا حيث أن اكتشاف التفشي في السوق السوداء من دون تفشي الوباء الفتاك.

وتقوم معالجة المخرج وولفغانغ بيترسون على فكرة العودة إلى الواقعة بعد سنوات عديدة من خلال فريق أميركي للبحث في أصل الفايروس، لتكون المفارقة أن قردا أفريقيا يتم تهريبه إلى الولايات المتحدة يكون هو حامل الفايروس، ويبيعه أحد العاملين في المختبر في السوق السوداء من دون أن يعلم بأنه ناقل للعُدوى، مما يؤدي إلى كارثة سوف تظهر نتائجها في ما بعد من أحداث الفيلم.



الوباء موضوع سينمائي مثير

تعيش البشرية أجواء غير مريحة بعد مرور أكثر من عام ونصف العام على تفشي جائحة كوفيد - 19 وفتكها بالملايين من البشر في إصابات مباشرة، فضلا عن الآلاف من الضحايا وتعطيل العديد من أوجه الحياة، وعلى الرغم من كل التدابير والإحتياطات الوقائية إلا أن تلك الدراما الفتاكة ما تزال قائمة.

ولكن تلك الشاشات بعيدة عن أجواء هذا الكابوس المخيف، بل نجد أن أفلام الأوبئة شكلت لنفسها مسارا خاصا، لاسيما في المناورة ما بين المصابين والناجين من الجائحة، وكيف يسبرون حياتهم فضلا عن أن الفايروس في العديد من تلك الأفلام يكتسب شكلا آخر أشد فتكا، وفي بعض الأحيان يتم الانتقال إلى كونه سببا في تفشي نوع من السعار الجماعي أو سلوك مصاصي الدماء أو العمى أو غير ذلك.

لا شك أن فيلم "كونتاغيون" أو "المرض المعدني" إنتاج 2011، كان هو الفيلم الذي تم التركيز عليه إبان الجائحة، لكونه الفيلم الذي استبقها بسنوات وشخص كثيرا من الأعراض المرتبطة بفايروس كوفيد، مع أنه كما هي العادة في مثل هذا النوع من الأفلام قادنا إلى حالات الهلع والصراعات التي ترتبت على تفشي الفايروس، منتظقا من تلك المرأة التي عادت للتو من رحلة والتي ظهر في ما بعد أنها ليست الوحيدة وأن الفايروس قد انتشر فعليا.

في مقابل ذلك هنالك فيلم "الحرب العالمية زاء" والذي يجسم أبعاد الكارثة إلى أقصاها من خلال انشغال عالمي بتفشي الوباء الذي يفك بالبشر، والذي يكرس له دور المحقق (لعبة الدور) الممثل براد بيت) للمضي في قصتي الجائحة وأبعادها، فيما هو أصلا أحد ضحاياها، وقد تطورت بالفعل إلى جائحة زيمبي تفك بالبشر وتجعل تلك العائلة الصغيرة في حالة من الرعب الحقيقي، فيما تنتقل إلى عرض البحار حيث خلية أزمة تبحث في جذور الكارثة التي ما تزال تفك بالبشر وتحول مدنا أميركية إلى مدن هلع وموت وأشباح.

وتلقت النظرة تلك المواقف ما بين الرواية التي كتبها ماكس بروكس وهذا الفيلم الذي أخرجه مارك فوستر وبرع في نقل أجواء الرواية المليئة بالرعب والترقب إلى الشاشة، لاسيما وأن الأحداث تنتقل بنا من الولايات المتحدة إلى كوريا إلى غيرها في صورة من الهلع الجماعي. في المقابل نجد أن تراجيديا الوباء سوف تتسبب شكلا آخر في فيلم الناقلين للمخرجين اليكس وديفيد باستور، وحيث أن تفشي الوباء يدفع بضعة أشخاص إلى البحث لهم عن ملاذ أمن، وحيث يلعب هنا عامل المكان والجغرافيا دورين أساسيين في هذه الدراما، فيما الشخصيات تصارع من أجل البقاء وتوجد لأنفسها نظاما حياتيا جديدا غير مالوف من قبل، لكن حالة الاضطراب تدفع بهم جميعا إلى ذلك وبما في ذلك التورط في جرائم قتل، وذلك في رحلة بالسيارة من أجل إنقاذ ما يمكن إنقاذه من حياة الناجين.

وفي هذه الدراما يكمن الهلع في سرعة تفشي الوباء بين الأفراد الناجين، وذلك خلال مخططاتهم لآخرين في تراجيديا مريضة تحمل الكثير من



الأم رقم صعب في الصراع داخل الطائرة المختطفة

«دم السماء الحمراء» صراع عنيف على متن طائرة مختطفة تشق الأطلسي

الفيلم ينصف العرب ويزيح عنهم الصورة النمطية المكرسة

والمتنافرة، ومن ذلك أيضا شبه الموت المتكرر لناديا ثم عودتها لإكمال المهمة، ثم عودة مساعدا الطيار إلى صوابه وما يجري من تحويل مسار الطائرة مرارا في مشاهد فيها كثير من شد الأنفاس والترقب والحركة وسفك الدماء.

وأما على صعيد انتقال موقع الأهمية وتساوب الأدوار، فقد لاحظنا براعة المخرج وكاتب السيناريو في تمرير تلك اللعبة الدرامية الممتعة، فتارة تكون ناديا هي التي تقود الأحداث ثم تنتقل إلى فوزوية الخاطفين ثم إلى الشخص العربي الذي لديه معلومات في قيادة الطائرات وهو الذي يتلفظ بكلمات الشهادة قبل أن يلغظ أنفاسه.

من مميزات الفيلم الذي سوف يجد المولعون بأفلام مصاصي الدماء متعة فيه أنه أسس لمساحة عريضة للصراع

هذه الحصيلة المكثفة من الصراعات تقابلها حالة من الترقب وتحشيد قوات مكافحة الإرهاب، فيما يكون الذي يرد على سلطات المطار ليس إلا أحد الركاب الشرق أوسطيين، مما يزيد الأمر تعقيدا لكن مجرد تدخل السلطات سوف يكون كافيا لاكتشاف هول المجرزة وأعداد الضحايا بينما يتفك فريد (الممثل قيس سبتي) برعاية الصغير إلياس بعدما أوصته أمه به خيرا في مشاهد صححت الصورة النمطية عن الشخصية الشرقية وقدمت نوعا من الإنصاف في مقاربتنا.

هذه الحصيلة المكثفة من الصراعات تقابلها حالة من الترقب وتحشيد قوات مكافحة الإرهاب، فيما يكون الذي يرد على سلطات المطار ليس إلا أحد الركاب الشرق أوسطيين، مما يزيد الأمر تعقيدا لكن مجرد تدخل السلطات سوف يكون كافيا لاكتشاف هول المجرزة وأعداد الضحايا بينما يتفك فريد (الممثل قيس سبتي) برعاية الصغير إلياس بعدما أوصته أمه به خيرا في مشاهد صححت الصورة النمطية عن الشخصية الشرقية وقدمت نوعا من الإنصاف في مقاربتنا.

هذه الحصيلة المكثفة من الصراعات تقابلها حالة من الترقب وتحشيد قوات مكافحة الإرهاب، فيما يكون الذي يرد على سلطات المطار ليس إلا أحد الركاب الشرق أوسطيين، مما يزيد الأمر تعقيدا لكن مجرد تدخل السلطات سوف يكون كافيا لاكتشاف هول المجرزة وأعداد الضحايا بينما يتفك فريد (الممثل قيس سبتي) برعاية الصغير إلياس بعدما أوصته أمه به خيرا في مشاهد صححت الصورة النمطية عن الشخصية الشرقية وقدمت نوعا من الإنصاف في مقاربتنا.

الذي كانت تتلقاه كان للتخفيف من حدة الانتقال إلى فامباير في أي لحظة. ولنعد إلى ناديا وقد تحولت إلى موقع الرقم الصعب في معادلة الصراع في جوف الطائرة المختطفة، فهي تتلقى رصاصات تؤدي إلى موتها أمام أنظار ابنها الصغير الذي سوف يتلقفه ويرعاه شخص من أصول عربية، فيما تكون الرصاصات كافية لكي تعود ناديا إلى قوة الفامباير، ومن هنا تبدأ الرحلة الدامية.

إنصاف المشاركة

نلاحظ هنا أن هذه الدراما الفيلمية قد اشتملت على طبقات متعددة من الأحداث لا ترتبط بعضها ولم يكن هناك من تمهيد مسبق لها، فما بين حادثة اختطاف الطائرة وبين سعار الفامباير على متنها ليست ثمة صلة، كما أن هناك كثيرا من العاطفة والشجن لاسيما بعدما تتحول ناديا إلى ذلك الكائن الوحشي، لكنها وهي بمنظرها البشع وأسنانها البارزة على مسم الدم، تراف بابنها وتحافظ عليه، وهكذا تجد في طبقتي الطائرة العملاقة ومخزن الأمعة فرصة لمناورة الخاطفين واصطيادهم تباعا.

وفي حدود ذلك الحيز المكاني الضيق سوف نشهد كل تلك الفوضى وتكاثر مصاصي الدماء على متن الطائرة بينما الخاطفون يجلبون غريبا ليلقي بيانا يشبه بيانات داعش والقاعدة للكشف عن عملية الخطف، لكي تتم التغطية على الخاطفين الحقيقيين.

ولعل من مميزات هذا الفيلم الذي سوف يجد المولعون بأفلام مصاصي الدماء متعة فيه أنه أسس لمساحة عريضة من قوى الصراع المتداخلة

لا شك أن المزج بين الأنواع السينمائية صار اتجاها معروفا لدى كتاب السيناريو والمخرجين والمؤسسات الإنتاجية على حد سواء، والغاية هي الوصول إلى أوسع مساحة ممكنة من المشاهدين الذين سوف يجدون في ذلك المزيج ما يبحثون عنه ومن ذلك المزج بين أنماط مختلفة، كما نجد في فيلم «دم السماء الحمراء».

إلى ما جرى ويجري في داخل الطائرة نفسها.

الطائرة العابرة للمحيط الأطلسي من لندن باتجاه الولايات المتحدة تحمل ناديا (الممثلة بيري بومستير) وابنها الصغير وهي المصابة بالسرطان، وما تستحوذ على الطائرة العملاقة وتامر ركابها بالتجمع في المقدمة وترك أماكنهم السابقة، ويبدو من هذا المدخل في هذه الدراما أن الغلبة هي للإرهابيين الذين سوف نكتشف أنهم لا ينتمون للمنظمات الإرهابية التي غالبا ما تلصق بالعرب والمسلمين بل إن العصاة برمته متعددة الجنسيات، وبين فيهم مضيف يعمل على متن الطائرة نفسها وحتى مساعد القبطان نفسه.

هذه المقدمة والأرضية لتأسيس الدراما ومن خلال حبكة لا تتعدى هذه الثيمة المتعلقة بالاختطاف وعمليات التفاوض مع الخاطفين ما تلبث هي الأخرى أن تغير توقعاتنا في سلسلة متميزة من التحويلات غير الموقعة، وذلك بتحول ناديا إلى كائن فامباير لسوف يقدم المخرج سلسلة من المشاهد (فلاش باك) تظهر كيف تعطلت السيارة بها هي وزوجها لينتهي بها الأمر أن تكتشف أن زوجها خطفه كائن فامباير وفيما تتعرض هي لذات العضة القاتلة التي تتسرب أثارها إلى دمها وأن العلاج



طاهر علوان
كاتب عراقي

يمزج فيلم «دم السماء الحمراء» ما بين الحركة والجريمة والرعب والخيال العلمي في مزيج يعتمد في نجاحه على تكامل تلك التوليفة من العناصر الفنية والجمالية. وفي هذا الفيلم للمخرج بيتر ثوروارث والذي يعرض حاليا، يتجه المخرج إلى خطوط درامية جريئة في تنوعها وبنائها على عنصر المفاجأة، ويلفت النظر فيها أن الإنشاج بريطاني والإخراج أميركي وهو ما يشير إليه الناقد روجر ايبيرت في كتابته عن هذا الفيلم.

الرقم الصعب

في المشاهد الأولى سوف يؤخذ المشاهد مباشرة إلى أزمة تتعلق بهبوط طائرة تحمل رهائن من الركاب وإرهابيين وبمجرد أن يظهر عن بعد شخص عربي الملاح في قمرة القيادة، حتى يتبادر إلى الذهن ما هو شائع إعلاميا بأننا أمام عملية اختطاف كلاسكية مما درجنا على سماعه ومشاهدته، وعلى أيدي تنظيمات إرهابية من القاعدة إلى داعش، لكن المخرج ما يلبث أن يقلب ذلك التوقع مباشرة رأسا على عقب عندما تنتقل

عالم بلا عنف وأبطال بلا ذكريات

براسكو" 1997 وغيرها من الأفلام التي أسست مستوى من العنف الذي عرفت به ثلة من مخرجي السينما الأميركية المتوسمين والذين برعوا بشكل خاص في إخراج هذا النوع من الأفلام الذي أرخ جوانب واقعية من الحياة الأميركية، وكانت تلك الشخصيات الأكثر اقتربا للعنف الدموي والإنقاذ ترتكز على ذاكرة جمعية قائمة على عقدي التفوق والثروة وهو ما عزز فيها نزعتها العدوانية والإجرامية.

يمكننا أن نذكر مخرجين مرموقين مثل مارتن سكورسيزي وسام مينديس ووسام بيكنباخ وبرايان دي بالما وفرانيسيس فورد كوبولا وغيرهم. في واقع الأمر إن فكري الصراع والعنف تتكاملان في هذه الدراما المتفجرة التي تبلغ فيها المواجهة والإنقاذ أعلى درجاتها، ويتلاشى أمام موجة العنف أي قانون أو رادع، وتتغلب الوحشية الفطرية التي تطع الكائن فلا يكون أمامه إلا الإجهاد على الخضم من دون رحمة. واقعا إن هذا النوع الفيلمي وإن بلغ ذروة ما من العنف إلا أنه يحقق لجمهور المشاهدين في ذات الوقت

فضيلة الغانغستر والويسيتون التي طبعت السينما الأميركية وصارت علامة فارقة فيها، وترجت الشخصيات في دورات العنف صعودا وهبوطا من العنف اللفظي إلى العنف الجسدي ومن العنف الفردي إلى الجماعي.

أفلام الصراع وإن بلغت ذروة ما من العنف إلا أنها تحقق لجمهور المشاهدين شعورا مضاعفا بالتطهير

سوف نتذكر أفلاما مثل «جامعة الرجال النبلاء» 1960 و«ملاسة الشيطان» 1958 و«الاتصال الفرنسي» 1971 و«صخرة برايتون» 1947 و«سكرافيس» ينسخته 1932 و1982 و«الذين لا يمسون» 1982 و«تاريخ العنف» 1982 و«وقع مرة في أميركا» 1983 و«أميركان غانغستر» 2007 و«القتل بنعمومة» 2012 و«دوني

يا ترى كيف يمكن أن يبدو شكل العالم بلا عنف؟ ومن أين يستمد الفنون الأدائية موضوعاتها وخاصة السينما الروائية ما لم يكن هناك عنف؟ وبمعنى آخر ما لم يكن هناك صراع بين الأضداد.

فكرة الصراع التي يقوم عليها الكون برمته واستلهمتها الدراما منذ لججامش مروراً بارسطو وليس انتهاء بشكسبير وتالغ السينما في التقاط تلك الثيمة منذ بوكايرها، وما هي منذ حوالي قرن وربع القرن وهي تمنع في إظهار صورة الإنسان المتحدي، الذي يواجه خصمه بشراسة ولا ينتهي إلا بالانتصار عليه.

خلال ذلك يخترن أولئك الأبطال العنيفون ذكريات متراكمة، هي في الواقع ركام من مواقف ومشاعر التحدي للأخر، ولهذا لا يمكن تصور أولئك الأبطال مع ذاكرتهم المفرغة من تلك الذكريات.

في سلسلة «العرب» مثلا تتداخل الخطوط الدرامية ولا يمكنك تصور الشخصيات وهي لا تمارس العنف وتصفية الحسابات، وهي نمطية متكررة وشهدناها في أفلام أخرى من